بسم الله الرحمن الرحيم

"رأي آخر"
"في خطبة الجمعة"

سعدت أنه كتبت تحت عنوان "رأي آخر" في أكثر من أمر لأؤكد أنه ما أقوله مجرد رأي (بين آراء مختلفة) لا أدعي صوابه ولا أطمح إلى فرضه لو استطعت إلى ذلك سبيلا.

ولكنه ما أكتبه اليوم يتعلق بالعبادة، وهي توقيفية مبنية على اليقين من نصوص الوحي وفق علماء الأمة في هذه النصوص، وقد حذرنا الله تعالى من القول في شرعه بما يملية الظن والعاطفة والزمان اتباع الهدى: ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾.

وفيما يلي أعرض مقارنة موجزة بين واقع خطبة الجمعة اليوم وبين طريقة الهدي في أمرها.

١) أكثر خطباء المسلمين اليوم يطلبون المقصود الظاهر من مشروعية خطبة الجمعة، ويتوزع إلى ملحوظ لنشرات الأخبار مبني على الظن والفكر، وخطبة الجمعة عبادة وجزء من الصلاة لا تقوم الصلاة إلا به (في رأي غالبية الفقهاء)، وإذن فلا بد من الرجوع في أمرها إلى الوحي واليقين وتقييدها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد انحراف كثير من خطباء اليوم فتحول خطبهم إلى إثارة للفتنة بين الراعي والرعية بالتهييج والمبالغة والغيبة والبهتان لا يستقيم مع حال دينية ولا دنيوية في مخالفة صريحة للسياسة الشرعية من الأحاديث الصحيحة في التحذير من الفتنة.

وأكثر المسلمين لا يحضرون من دروس العلم غير خطبة الجمعة

فإذا تحولت من العلم الشرعي الى الفكر ومن الاصلاح الى الافساد فقدوا الفرصة الوحيدة التي أنعم الله ع عليهم لبناء ما حث أن يعلموه من دينهم وللاجتماع على الخير والتعاون على البر والتقوى.

ب- وكانت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية: الايمان والموت والحساب والجنة والنار، وتعليم الأحكام الشرعية في العقيدة والعبادة والمعاملة، والدعاء، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله.

ولم تتضمن خطبة واحدة من خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة ولا خطب خلفائه وصحابته ولا خطب الأئمة في القرون الثلاثة شيئاً عن الحوادث والطوارئ على عظم ما مر بهم منذ، ولا عن الغزوات ولا الهجرة ولا الاسراء والمعراج ولا المولد، ولا احتفل بما سنذكر يوم ذكراها بالكلام عنه في الخطبة. كل ذلك من ابتداع القرون المتأخرة ومفاسده ~~ما لا يخفى عليه~~. لم يكن ذلك من هدي القدوة من هذه الأمة حتى احتل المفكرون "الاسلاميون" مكانة العلم الشرعي واحتل المفكرون "الاسلاميون" مكانة أئمة العلم الشرعي.

جـ- وإذ ثبت أن العبادة لا تثبت ولا تصح إلا وفق النصوص المعصومة؛ فهذا ما يحضرني منه:

١) قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾، والذكر في اللغة والشرع: الصلاة والطاعة وقراءة القرآن وتسبيح الله وتمجيده والثناء عليه، (يمكنه الرجوع الى تاج العروس والى التفاسير).

٢) وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً، يقرأ القرآن ويذكر الناس، رواه مسلم.

٣) وعن أبي وائل رضي الله عنه، عن عمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة» رواه مسلم.

٤) وعن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: لقد كانت تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، ما أخذت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس» رواه مسلم.

٥) وعن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»، ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فمن ترك مالاً فلأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلي وعلي».

٦) وثبت من عدة طرق عن عدد من كبار الصحابة وفقهم الله رضي الله عنهم نصّ خطبة الحاجة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلّم أصحابه: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ثم تلوا آيات الأمر بالتقوى من سورة آل عمران والنساء والأحزاب.

د - ومما يحضرني من أقوال فقهاء الأمة في بيان الخصوص ما يلي:

١) قال الشافعي رحمه الله (الأم ١/٢٠٢): وأحب أن [يخطب الإمام] يحمد الله، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والعظة والقراءة، ولا يزيد على ذلك.

٢) وقال النووي الشافعي رحمه الله (المجموع ٤/٢٤٩): ومقصود الخطبة الوعظ.

٣) وقال الكاساني الحنفي رحمه الله (بدائع الصنائع ١/٢٦٢): روى عمه الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: ينبغي أن يخطب [الإمام] خطبة خفيفة يفتتح فيها بحمد الله تعالى وثني عليه ويتشهد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويعظ ويذكر ويقرأ سورة، ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى بحمد الله تعالى وثني عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات.

٤) وقال القرطبي المالكي رحمه الله (الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٠٧): ما لابد منه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله.

٥) وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله (المغني ٢/٢٠٤) نقلاً عن الخرقي رحمه الله: يحمد الله ويثني عليه ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويقرأ ويعظ. وقال (٢/٢٠٥): وقال القاضي: يجب [الموعظة] في الخطبة لأن المقصود من الخطبة فلم يجز الإخلال به.

٦) وقال ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد محققة ١/٤٢٧) عن خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة: إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه،

وذكر الجنة والنار وما أعدّ الله لأوليائه أهل طاعته وما أعدّ الله لأعدائه أهل معصيته.

وقال رحمه الله (٤٩٤/١): ومن تأمّل خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الربّ جلّ جلاله، وأصول الإيمان الكلّية، والدعوة إلى الله وذكر آلائه التي تحبّب إلى خلقه وأيامه التي تخوّفهم منها، والأمر بذكره وشكره.

٧) وقال الصنعاني رحمه الله (سبل السلام ٤٩/٢): وكان [النبي صلى الله عليه وسلم] يعلّم أصحابه في خطبه قواعد الإسلام وشرائعه وأمرهم ونهيهم ... ويذكر معالم الشرائع في الخطبة، والجنة والنار والمعاد، وأمر بتقوى الله وحذر من غضبه ورغب في موجبات رضاه.

وقال رحمه الله: (٥٠/٢): وكانت محافظة [صلى الله عليه وسلم على الخطبة بسورة ق] اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة.

٨) وقال سيد سابق (فقه السنة ٢٠٩/١): وفي الروضة الندية: ثم اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يفتتحها صلى الله عليه وسلم من ترغيب الناس وترهيبهم فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت.

خاتمة:

وليس في نصوص الوحي ولا في أئمة القدوة المفضلة

إلى ما يجب الاعتناء على منهج السنة في هذه العبادة العظيمة - والانحراف عنه ، قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله محمد

سعد الحصين